

## نعمان الرفاعي... فنّانٌ نحتت نجاحه العصامية



لحمه العنان. أزد المنحوتة قصةً ما، أو حالة تعني شيئاً ما بالنسبة إليه. هنا بدأت رغبته في إظهار ما في داخله، وبدأ يشارك بمعارض كثيرة في مناطق عدّة من لبنان. أما المعارض التي كانت تقام خارج الوطن، فكانت تصله دعوات للمشاركة بها، لكنّ الفرض لم تسنح له. نال نعمان الرفاعي شهادات تقديرية كثيرة، منها شهادات من المؤسسة العسكرية اللبنانية لإنجازه عدّة نصب تذكارية للشهداء. يحبّ أن تكون منحوتاته أقرب إلى الواقعية، ويطمح. كما يطمح كل فنّان. إلى الشهرة والعالمية، لأن ما في داخله يجب أن يصل إلى العالم

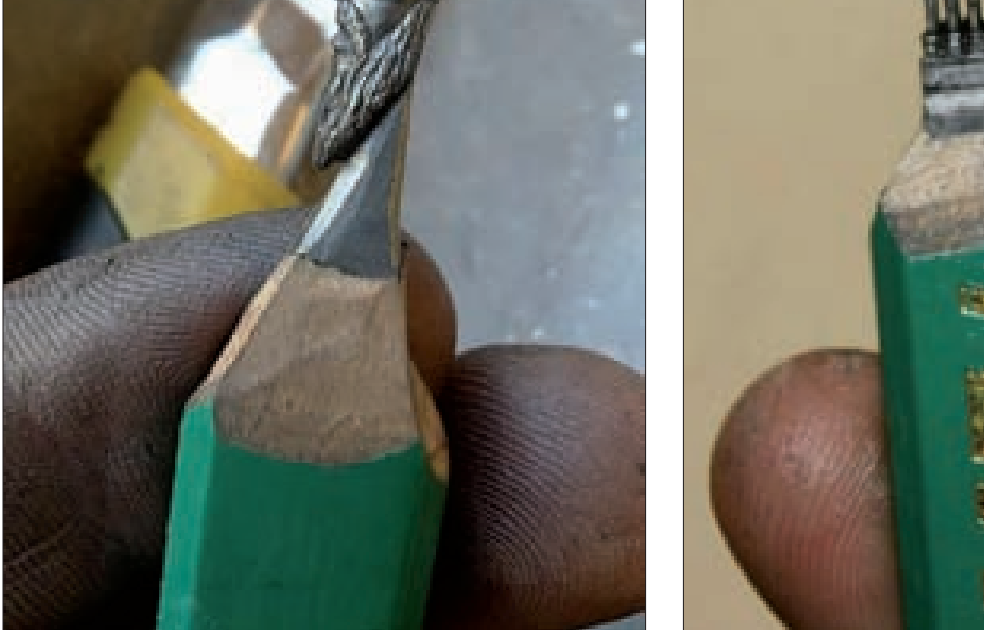
لمى نوّام بدأت رحلته في النحت منذ كان عمره عشر سنوات، إذ كان يمارس مهنة الحفر التقليدي على الموبيليا. كان يستغلّ العطل المدرسية والصفيفية ليعمل مع أخيه الأكبر، حتى أتمّ بالمهنة واحترفها وصار يعايش منها، وكان يقوم بتنفيذ «الموديلات» لتكون قوالب ينسخ عنها، فوصلت أعماله من نحت الخشب إلى الحجر أو الطين، إلى عدّة دول عربية وأوروبية من خلال المؤسسات أو الشركات التي كان يعمل لحسابها.

وإذ كان المثل يقول إن الحاجة أمّ الاختراع، فإنّ تجربة نعمان الرفاعي كانت شخصية، فلم يعرف من يعلمه النحت على الحجر. كان يسأل نحاتين، وكانوا يخلون بتزويده بالتفاصيل التي اكتشفها بعد محاولات مضيئة وبمعدّات بدائية جداً. عندما نعمان الرفاعي نحت الحجر، أصبح نحت الخشب مسألة على هامش قدراته، علماً أنّ للخشب ميزة خاصة وأسلوباً مختلفاً. حينذاك، أدرك الرفاعي أنّ الحفر التقليدي لا يشبع رغبته، ولا يؤدي إلى منحوتة فنية غير تقليدية، فبدأت تأملاته وأطلق

للمنحوتة قصةً ما، أو حالة تعني شيئاً ما بالنسبة إليه. هنا بدأت رغبته في إظهار ما في داخله، وبدأ يشارك بمعارض كثيرة في مناطق عدّة من لبنان. أما المعارض التي كانت تقام خارج الوطن، فكانت تصله دعوات للمشاركة بها، لكنّ الفرض لم تسنح له. نال نعمان الرفاعي شهادات تقديرية كثيرة، منها شهادات من المؤسسة العسكرية اللبنانية لإنجازه عدّة نصب تذكارية للشهداء. يحبّ أن تكون منحوتاته أقرب إلى الواقعية، ويطمح. كما يطمح كل فنّان. إلى الشهرة والعالمية، لأن ما في داخله يجب أن يصل إلى العالم

وإذ كان المثل يقول إن الحاجة أمّ الاختراع، فإنّ تجربة نعمان الرفاعي كانت شخصية، فلم يعرف من يعلمه النحت على الحجر. كان يسأل نحاتين، وكانوا يخلون بتزويده بالتفاصيل التي اكتشفها بعد محاولات مضيئة وبمعدّات بدائية جداً. عندما نعمان الرفاعي نحت الحجر، أصبح نحت الخشب مسألة على هامش قدراته، علماً أنّ للخشب ميزة خاصة وأسلوباً مختلفاً. حينذاك، أدرك الرفاعي أنّ الحفر التقليدي لا يشبع رغبته، ولا يؤدي إلى منحوتة فنية غير تقليدية، فبدأت تأملاته وأطلق

للمنحوتة قصةً ما، أو حالة تعني شيئاً ما بالنسبة إليه. هنا بدأت رغبته في إظهار ما في داخله، وبدأ يشارك بمعارض كثيرة في مناطق عدّة من لبنان. أما المعارض التي كانت تقام خارج الوطن، فكانت تصله دعوات للمشاركة بها، لكنّ الفرض لم تسنح له. نال نعمان الرفاعي شهادات تقديرية كثيرة، منها شهادات من المؤسسة العسكرية اللبنانية لإنجازه عدّة نصب تذكارية للشهداء. يحبّ أن تكون منحوتاته أقرب إلى الواقعية، ويطمح. كما يطمح كل فنّان. إلى الشهرة والعالمية، لأن ما في داخله يجب أن يصل إلى العالم



## «الخنفساري»... نصّ الأحلام المغدورة والأمنيات المؤجّلة!



نصّار إبراهيم

«إنها محاولة لكتابة جزء من الحكاية الفلسطينية والتي تعيش وترتج تحت الاحتلال، فيها رائحة المقاومة وعين الاستسلام، رائحة الثورة وطعم الارتزاق، رائحة الأحلام العربية الكبرى ذات المذاق الإنساني، وما يسحبها نحو القنوط والإحباط والمتمركز حول الذات» (ص 27).

حين بدأ الكاتب يراجع تسلسل أحداث روايته، وجد أنّ ترتيبها جاء عشوائياً، لافي سياق التعليلية، وزاد إعجابه في فوضاها... ورنّت في أذنيه مقولة «فوضاي أجمل من رتابتي المؤنثة» (ص 48).

بهذه النقاط الارتكازية، يحدد نافذ الرفاعي الخيوط المفتاحية ويلقي الضوء عليها بالمساعدة في التعامل مع سياقات تجربته الروائية والسردية في «الخنفساري».

رواية «الخنفساري» من حيث الأسلوب والبنية هي نصّ روائي تجريبي بامتياز، نصّ قلق ومتحرك، وأحياناً مرتبك. نصّ يتحرّك في ذاته وليذاته إنما ضمن محدّدات الواقع الاجتماعي المحيط.

هي ليست نصّاً خيالياً، إنما نصّ واقعيّ تماماً، قد يتكلّم في بعض الأحيان إلى الخيال، لكنه وهو يقوم بذلك، فإنه يبقى محكوماً بشروط الواقع الموضوعية. هذا يعني أنّ متابعة حركة هذا النصّ الروائي ووعيه، يستدعيان بالضرورة الذهاب إلى تلك المساحات حيث يتقاطع الكاتب مع النصّ مع الواقع. أي المساحات التي تقع عند الحدود والتخوم. وبذل الجهد في محاولة لكشف ما يحدث ويفعل في تلك المساحات، ما يعطي النصّ أبعاداً جديدة.

القلق. كما الحركة والمتمركز. الذي تعبّر عنه شخصية الخنفشاري بمرارة، يعيد التذكير بصورة ما بمرارة «اللاز للظلم وطار». أي التناقض بين الأحلام والقيم والأمنيات التي تحملها أي حركة ثورية. ويؤسّ الواقع الذي وصلت إليه. بحيث تصبح حقلاً لاعتغال الأمنيات. فتدفع بأبطالها نحو خيارات قاسية، كنوع من ردّ فعل على العجز أو الانتكاس.

في «الخنفساري»، يقوم نافذ الرفاعي بمحاولة لوعي ما يجري في الواقع الفلسطيني، وهنا يصبح الكاتب نفسه بصورة ما-بما هو ابن التجربة السياسية الفلسطينية - «الخنفساري» ذاته، فيذهب لمواجهة الأسئلة والانتكاسات والإرتباك والقلق. لقد انعكست هذه الحالة العميقة في بنية النصّ على شكل حركة متسكرة، وانتقالات مفاجئة، وكأنها تتحرّك في الواقع ذاته. حيث الإزمة والانحسار في الواقع السياسي الفلسطيني، يلبقان بانقائهما على نبض الرواية بألحاح.

ما يشبه الثورة المغدورة، والأحلام المهاتمة والتضحيات، كلها محرّكات تخنفي في قبور الشهداء، وكان اللحظة الفلسطينية الراهنة تكسر المرحلة السابقة، حين كانت الثورة واضحة وحاسمة في خياراتها. ولهذا يقول: «إن الثورة بصنعها العبقري ووقودها المغامر ويقطف ثمارها الجنائ، والذين أمضوا حياتهم في السجون والضلال، لم يجدوا وقتاً للدراسة وأصحاب الشهادات العليا هم أبناء الأكارين» (ص 13).

إنّ، هو نصّ يحاول أن يعالج تلك التناقضات العميقة ما بين ثورة شعب وقدم التضحيات منذ قرن من الزمن، ثم يجد نفسه في لحظة ما يخوض في عملية سياسية ملتبسة تناقض الأحلام والأمنيات والتضحيات. ففي لحظة يتجلّى الفدائي الفلسطيني كنوع من خرافة، بما يفرض السؤال هل في الحقيقة أنّ الفدائي هو الخرافة أم الواقع الناشئ هو الخرافة؟! المقصود واقع الركود العربي والهزيمة والخذلان الفلسطيني. بمعنى أنّ هذا الواقع هو الأمر غير الطبيعي، بينما ردّ الفعل الفلسطيني المقاوم/المعادل للفدائي هو الأمر الطبيعي تماماً. فما هو غير طبيعي وغير منطقي أنّ يكون الاحتلال طبيعياً. وفي مواجهة ذلك يكون

القوة القائمة والفكرة والأحلام والطموحات الكبرى في التحزّر. وبالتالي، لا يمكن تحقيق أهداف الثورة والشعب من دون تغيير موازين القوى في الواقع المشخص واللموس. وغير ذلك ستحوّل اللعبة السياسية إلى عملية استجداء لا أكثر. «أريد أن أجزء العالم الرسامالي من كل خزائنه، لكنّ أولاد الكلب ابتدعوا خزائن البنوك والفيزّا كارد (...). هؤلاء هم اللصوص الذين يسرقون ما في داخلها وتبقى فارغة، والناس يعتقدون أنها مليئة...إنها النفس نسرق ما في داخلها، أو يسرق ما في داخلها، لتبقى مشوهة ضائعة فارغة من الهدف المرتجى والحلم الموعود» (ص 106).

بهذا المعنى، يقول النصّ: «نفقد أشياء كثيرة حين ننال عُشر الحزبة. ويفقد الثوري الله». فإن تكفي بعشر حزبة قد يبدو للوهلة الأولى وكان ذلك إنجازاً. غير أنّ الوجه الآخر المؤلم والقاسي لهذه المساومة، أنّنا نفقد في اللحظة ذاتها تسعة أعشار حزبتنا، ومعها تسقط أحلام شاسعة، لا بل تتغير طبيعة الناس والواقع، كما تتغير طبيعة الثوري ذاته، ما يفرض سؤالاً مباشراً: هل هو ذاته؟ بشكل عام، بقي إيقاع النصّ يتحرّك في تلك المساحات اللقطة ويطرح الأسئلة الحارقة، هو لا يقدم حلولاً إنما يثير عاصفة من الشك. أو لتقل نوعاً من محاكاة الواقع الذي وصل إلى ما وصل إليه. في سياق هذه العملية، يجاهد النصّ عبر طرح الأسئلة وإطلاق فعالية النقد لكل أبعاد الواقع المعاش بمساحاته المرتبكة من أجل كشف معضلات الواقع كشرط لمغادرة الأزمة. فيتحدّث عن المعتقد المدني وموقف الريف إن جاز التعبير... كما يحاول أن يكشف إشكالية الغتراب الثقافي. والثقافة السطحية والضحلة: «أهي عقدة العربي المهاجر إلى الغرب يعيش شخصية مزدوجة، بيني وبيناً فيه من الطراز العربي ويضع الطراز الأوروبي، يتزوج امرأة بسيطة لأنه يبحث عن فروض الطاعة، ويتشكك بالحرّيات والديمقراطية، لا يستطيع التخلص من شخصية سي السيد التي

## «المهاجران» يفوز بجائزة أفضل فيلم روائي طويل في هولندا

حصل الفيلم السوري «المهاجران» على جائزة أفضل فيلم روائي طويل في مهرجان الكاميرا العربية مساء أول من أمس بدورته الـ13، والمقام في مدينة روتردام في هولندا.

وكانت لجنة تقييم الأفلام في مهرجان روتردام السينمائي قد اختارت قبل أيام فيلم «المهاجران» للمخرج محمد عبد العزيز، ليكون ضمن قائمة الأفلام المشاركة في المسابقة الرسمية للأفلام الروائية الطويلة ضمن المهرجان في هذه الدورة.

وذكرت لجنة اختيار الأفلام على موقعها الإلكتروني أنّ الفيلم مترافقاً بالترجمة إلى اللغة الإنكليزية، اختير ضمن الأفلام العربية المنافسة على جائزة أفضل فيلم روائي طويل، مع أفلام من مختلف الدول العربية، مثل فيلم «ذيب» من الأردن، و«أنا ميت» من المغرب، و«القرية» من لبنان، وغيرها.

ويحكى الفيلم عن مهاجرين اثنين، أحدهما يبحث عن الحزبة، وآخر عامل بسيط، يلتقيان ليلة رأس السنة في قبو في إحدى الدول الأوروبية، لتتضح الظروف التي اضطرت كل منهما للهجرة من بلاده نتيجة الأوضاع. مدّة الفيلم 105 دقائق، وهو من إخراج محمد عبد العزيز، وإنتاج شركة الشرق للإنتاج والتوزيع الفني. أفلام نبيل طعمة، وهو من بطولة سامر عمران ومحمد آل رشي. وسبق للشركة ذاتها أن حصلت على جوائز عالمية عدّة عن أفلام أنتجتها، مثل فيلم «دمشق مع حبي» و«نصف مل غرام نيكوتين».

## المرصد

### نوال الزغبى والإطلاات الثلاث

هنادي عيسى

تعيش النجمة نوال الزغبى مرحلة متميّزة من حياتها الفنية خلال هذه الأيام، إذ تقطف ثمار نجاح ألومها الأخير «مش مسامحة»، والذي حقّق حضوراً لافتاً بأغنياته كلها. ويظهر هذا النشاط جلياً في إطلااتها الإعلامية من خلال أهم البرامج الفنية. إذ حلت نوال الزغبى ضيفة «البرامج» الخامس من برنامج الهواة «ستار أكاديمي» في موسمه الحادي عشر، وشاركتها الطلاب على الهواء مباشرة أكثر من أغنية، وقدمت لوحة مميّزة على أنغام أغنياتها الجديدة «يا جعد». ولأنّ إطلااتها أتت بعد يوم واحد على التفجيري الإرهابي المزدوج الذي ضرب بيروت، وتحديدًا منطقة برج البراجنة، فقد تقدّمت الزغبى بالجزء إلى جميع ذوي شهداء التفجير، مؤكدة أنّ رسالة السلام والمحبة تجمع اللبنانيين، وأنّ الشعب اللبناني لا يستسلم ولا يُهزم. متمنية أنّ يعود الأمن والأمان إلى لبنان وإلى دول العالم كلها.

من جهة أخرى، أطلقت نوال الزغبى عبر شاشة «تلفزيون دبي» في الحلقة السابعة من برنامج «محمد عبده وفنّان العرب»، واختارت نوال ثلاث أغنيات هي «مش مسامحة»، و«يا جعد»، و«ملعون»، وشاركت أثناء الحلقة في لجنة التحكيم، إذ أبدت رأيها بالأصوات والمواهب المتسابقة. كما ستحلّ نوال الزغبى الليلة ضيفة على برنامج «المناهة» على قناتي mbc و mbc مصر مع الإعلامية وفاء الكيلاني في حوار شيق وصريح وبعيد عن التقليديّ، تتحدّث فيه عن جوانب كثيرة في حياتها الشخصية والفنية. إذ ستطرّق للمرّة الأولى إلى علاقتها بأختها وأهلها، هذه العلاقة التي مرّت بفترة برود.

نوال الزغبى تعيش نشاطاً فنياً كبيراً، كما تتحصّر لرأس السنة، المنتظر أنّ تحيها بين لبنان أو دبي تحت رعاية شركة «روتانا». ومن المنتظر أنّ تصوّر الزغبى حلقة خاصة تُعرض على شاشة «MTV»، وتعتبر بمثابة احتفالية بألومها الجديد. فضلاً عن تحضيرها لتصوير أغنية «مش مسامحة» مع المخرج سعيد الماروق.

وصفها بدقة نجيب محفوظ». (ص 88).

ولكن في النهاية، وبعد كل هذه الانتباسات والألام والأسئلة، يعود نافذ الرفاعي إلى نقطة البداية، وي طرح السؤال البيديهي للغاية: «مَن يعيد إلى الثورة بريقتها؟» (ص 188)... وما هي الشروط لكي تستعيد بريقتها؟ وفي غمرة التفاعل ما بين ثلاثية الكاتب والنصّ والواقع، تفق الرواية عند معضلة مفصلية: «تريدون الخنفشاري أن يعود: هل تستطيعون إعادتي إلى ما كنت عليه، إلى روحي وقلقي وفورتي وتوبتي؟ من هو الخنفشاري ولماذا لا يستطيع أن يعود؟ وما هي شروط العودة وهل يجب أن يعود؟ أم أنّ يتجدد أم أنّ يولد خنفشاري يلبي شروط الثورة الراهنة ويتخطى البؤس المترام؟». (ص 190).

في سياقات الواقع وما يحمله من أسئلة وشكّ وارتباك وبنية مختلّة، لا حلّ ناجز في الأقف. ولهذا يقول: «سأعود إنمّا باهتا، فلا للماضي. أعود مجرد ركام أحلام، كيف أعود وسيدتي المقدسية في قلبي وأحلام المشردين. أما كسروا الوهم العالق في إرادتي بالنصر، وهل أعود رافعا راية النصر؟ أم راية الاستسلام؟». هذا السؤال يعكس معضلة الواقع الفلسطيني المحورية التي تتحرّك ما بين مستويين: مستوى الرغبة بالعودة إلى معنى الثورة الحقيقي. ومستوى الواقع القاهر بمعادلاته المختلفة. لقد تعبّرت البنية السياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية، وجرّت في النهر مياه كثيرة. وبالتالي صارت العودة ضمن الشروط ذاتها والوعي ذاته السابقين مستحيلة، لهذا لن يعود الخنفشاري. لقد أخذ فرصته فأوصلته لما وصل إليه... انتهى. هو الآن مجرد تجربة فيها بالتاكيد دروس قيمة، ولكن على تتخطى هذه المعضلة السياسية والاجتماعية اللحظة نحو آفاق جديد، بحيث أنّ تبحث ضمن شروط الواقع الجديد عن شروط الثورة من جديد.

حينئذ سبولد «خنفشاري» آخر يختلف جذرياً عن «الخنفساري» السابق. قد يحنّ إليه، قد يحترمه، وقد يستفيد من تجربته، إنمّا ليس مطلوباً منه أن يكون نسخة عنه. لأنّ الزمان والعلاقات والوعي وكل ما ولد تلك التجربة، تغير بصورة درامية. وهو ما يستدعي ثورة جديدة تشكل استمراراً لتجارب الماضي من جهة وتقطع معها بصورة حاسمة من جهة أخرى. ثورة لها شروطها وسماتها وقواها الاجتماعية التي ستحمّلها على اكتشافها وتدفع استحقاقاتها. ختاماً، يقدم الكاتب نافذ الرفاعي في رواية «الخنفساري» نصّاً مشغولاً بجدل الاجتماعي والسياسي والسوسي والثقافي والنقدي في الحالة الفلسطينية المعاشة. وقد نجح أكثر في إثارة الأسئلة أكثر مما أعطى الإجابات. لا بل ليس مطلوباً منه أن يعطي الإجابات. يكفيه تحريك المعايه. لقد مارس نافذ نوعاً من العبث الأدبي إن جاز التعبير، بلق وتوتّر حتى النهاية، فبذت الرواية في سردياتها وشخصياتها وكانها خرة من أي قالب سردى. جواراتها مفتوحة، ولقها مفتوح، وفرصيات المستقبل أيضاً مفتوحة. لقد دفع نافذ الرفاعي بأنكاره إلى ميدان الواقع وتعقيدهاته وكأنه يقول: «إن كان بقديور الخنفشاري أنّ يفرض نفسه وأن يتنزّع لذاته مساحته فليبرهن على ذلك. لكنّه إن يكون الخنفشاري السابق ذاته، قد يحل أحلامه وأمنيّاته، ولكنه مطالب بصوغ شروط تحقيق تلك الأحلام والطموحات وضروراته، بناءً على تناقضات الواقع الراهن ومحدّداته وبنائه».

رواية «الخنفساري»، نصّ أدبيّ سياسيّ اجتماعي، يوجع بحركة داخلية تشي بغليان، وتؤشّر إلى التنباسات والانتباسات الشخصية السياسية الفلسطينية وتردّها أمام واقع يتحرّك ويخرج نطاق إرثاتها وأرثاتها. «الخنفساري»، للروائي الفلسطيني نافذ الرفاعي، صدرت عام 2015 عن «دار الجندي» وتقع في 192 صفحة.